بسم الله الرحمن الرحيم

خمسةُ شُهودٍ لَكَ أو عليكَ يومَ القيامةِ 1442-4-5

الحمدُ للهِ الذي قهرَ بالموتِ العباد، وأذلَّ به رقابَ أهلِ التجبُّرِ والعِناد، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، الذي أرسلَهُ رحمةً للعالمين فأظهرَ الحقَّ وأبادَ الفسَاد، صلَّى اللهُ وسلم عليه وعلى آله وأصحابهِ وأتباعهِ إلى يومِ الدِّين.

أما بعدُ: فيا أيها الناسُ اتقوا اللهَ ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾.

أيها المسلمون: إنَّ من أُصولِ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ الإيمانَ باليومِ الآخرِ وما يجري فيه مِمَّا صَحَّ بهِ الخبرُ عن اللهِ ورسولِه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾، وقال: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝١٣٦ ﴾، **ألاَ وإنَّ مِنْ أحداثِ اليومِ الآخرِ:** نُطق الشهود عليك يوم القيامة، وهم: شهادة السماء والأرض، وشهادة يديك ورجليك، وشهادة بقية جوارحك، وشهادةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم عليك، وشهادة الملائكة، وشهادة أعظم الشاهدين اللهُ جلَّ جلالُه، ولكن ماذا سيحصلُ لكَ قبلَ هؤلاءِ الشهودِ يوم القيامة:

أولاً: بعثُكَ مِن قبرِك: قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۖ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٥٣ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٤ ﴾، وقال صلى الله عليه وسلم: (إنّ النّاسَ يَصْعَقُونَ يومَ القِيَامَةِ، فأَكُونُ أَوّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عنهُ الأَرْضُ) رواه البخاري، وسَيَبْلَى مِنكَ في قَبرِكَ كُلُّ شيءٍ إلا عَجْبُ الذَّنبِ -وهو العظمُ اللطيفُ في أسفلِ الصُّلب- ومِنْهُ تُركَّبُ يومَ القيامة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ ابنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إلا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ وفيهِ يُرَكَّبُ) رواه مسلم.

ثانياً: حَشْرُكَ لموقف الحساب ماشياً عارياً حافياً: قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧ ﴾، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨ ﴾، و(خَطَبَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فَقَالَ: يا أيها النّاسُ إنّكُمْ مَحْشُورُونَ إلى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، ثُمّ قالَ: ﴿

كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾) رواه البخاري ومسلم، ثمَّ يُحشرُ أهلُ الموقفِ فريقٌ إلى الجنةِ وفريقٌ على وجوههم إلى جهنم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾.

ثالثاً: مُحاسبتُك ومُجازاتُك: قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾، وقالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: (ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ اللهُ ليسَ بيْنَهُ وبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلا يَرَى إلا مَا قَدّمَ، ويَنْظُرُ أَشْأَمَ منهُ فلا يَرَى إلا مَا قَدّمَ، ويَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فلا يَرَى إلا النّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فاتّقُوا النّارَ ولَوْ بِشِقّ تَمْرَةٍ) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ) رواه البخاري ومسلم.

رابعاً: أنك ستُطلبُ لأداءِ شهادةٍ عظيمةٍ لأنبياء الله، فهل أنتَ مُستعدٌ لها؟ (قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: يَجِيءُ نُوحٌ وأُمَّتُهُ، فيقُولُ اللهُ تعالى: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فيَقُولُ لأُمَّتِهِ: هلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لا ما جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فيَقُولُ: محمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وهُوَ قَوْلُهُ جَلّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، والوَسَطُ العَدْلُ) رواه البخاري.

خامساً: شهادةُ السماءِ والأرضِ: قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾، و(عن أبي هُريرةَ قالَ: قَرَأَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾، قالَ: أَتَدْرُونَ ما أَخْبَارُهَا؟ قالُوا: اللهُ ورسُولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: فإنّ أَخْبَارَهَا أنْ تَشْهَدَ على كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بما عَمِلَ على ظَهْرِهَا أنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وكَذَا يَوْمَ كَذَا وكَذَا، قالَ: فهذهِ أَخْبَارُهَا) رواه الترمذي وقال: (حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ صَحِيحٌ)، وقال عليٌّ رضيَ اللهُ عنه: (إذا مَاتَ الْمُؤْمِنُ بَكَى عليهِ مُصَلاَّهُ مِن الأَرْضِ، وبَابُهُ مِنَ السَّمَاءِ) رواه المروزي بسندٍ حسن.

سادساً: شهادةُ الأيدي والأرجلِ وبقيَّةُ الجوارحِ يومَ القيامةِ: قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾، وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل: (ثُمّ يَلْقَى الثّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذلكَ، فَيَقُولُ: يا رَبِّ آمَنْتُ بكَ، وبكِتَابِكَ، وبرُسُلِكَ، وصَلَّيْتُ، وصُمْتُ،

وتَصدّقْتُ، ويُثْنِي بخَيْرٍ ما اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هاهُنَا إذاً، قالَ: ثُمّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا علَيْكَ، ويَتَفَكَّرُ في نَفْسِهِ: مَنْ ذا الذِي يَشْهَدُ عَلَيّ؟ فَيُخْتَمُ على فِيهِ، ويُقَالُ لِفَخِذِهِ ولَحْمِهِ وعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ ولَحْمُهُ وعِظَامُهُ بعَمَلِهِ، وذلكَ لِيُعْذرَ مِنْ نَفْسِهِ، وذلكَ الْمُنَافِقُ وذلكَ الذِي يَسْخَطُ اللهُ علَيْهِ) رواه مسلم، و(عنْ أنسِ بنِ مالكٍ قالَ: كُنّا عندَ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ فَضَحِكَ، فقالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمّ أَضْحَكُ؟» قالَ قُلْنَا: اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ، قالَ: مِنْ مُخَاطَبَةِ العَبْدِ رَبّهُ، يَقُولُ: يا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قالَ: يَقُولُ: بَلَى، قالَ: فَيَقُولُ: فإني لا أُجِيزُ على نَفْسِي إلا شَاهِداً مِنّي، قالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيداً، وبالْكِرَامِ الكَاتِبِينَ شُهُوداً، قالَ: فَيُخْتَمُ على فِيهِ، فيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قالَ: فَتَنْطِقُ بأَعْمَالِهِ، قالَ: ثُمّ يُخَلّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلامِ، قالَ فَيَقُولُ: بُعْدَاً لَكُنّ وَسُحْقاً، فَعَنْكُنّ كُنْتُ أُنَاضِلُ) رواه مسلم.

حاسبني الله وإياكم ووالدينا وأهلينا حساباً يسيراً.

إنَّ الحمدَ للهِ، نَحمَدُه ونستعينُه، مَن يَهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عبدُهُ ورسولُهُ.

أمَّا بعدُ: (فإنَّ خَيْرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ، وخيرُ الْهُدَى هُدَى مُحمَّدٍ، وشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلُّ بدعَةٍ ضَلالَةٌ)، و (لا إيمانَ لِمَن لا أَمانةَ لَهُ، ولا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ).

أيها المسلم: ومِن الشُّهودِ عليكَ يومَ القيامةِ: سابعاً: شهادةُ نبيِّك محمد صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾، فكُلُّ نبيٍّ سَيَشْهدُ على أُمَّتِهِ يومَ القيامةِ بأنه بلَّغها ما تقومُ به الحُجَّةُ عليها، وقال بعضُ البصريين: بأن المرادَ شهادتُه صلى الله عليه وسلم على أعمالِ أُمَّتِهِ، ولَّما قرأَ ابنُ مسعود رضي الله عنه سورةَ النساءِ، قال: (حتى إذا بلغتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾، رَفَعْتُ رَأْسِي، أوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إلى جَنْبِي، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم تَسِيلُ) رواه البخاري.

ثامناً: شهادةُ الملائكة عليهم السلام: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾، قال ابنُ كثير: (أيْ: مَلَكٌ يَسُوقُهُ إلى الْمَحْشَرِ، ومَلَكٌ يَشْهَدُ عليهِ بأعْمَالِهِ) انتهى.

تاسعاً: شهادةُ الكُفَّارِ على أنفسهم يوم القيامة: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾.

عاشراً: شهادةُ خير وأكبر الشاهدين: وهي خاتمةُ الشهاداتِ وأعلاها وأجلُّها، قال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾.

فالله اللهَ بالمسارعة إلى الأعمال الصالحة، قال ابنُ كثير: (وقولُه: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾، أيْ: لَمْ تَكُنْ لَهُمْ أَعْمَالٌ صالِحَةٌ تَصْعَدُ في أَبْوَابِ السَّمَاءِ فَتَبْكِي على فَقْدِهِمْ، ولا لَهُمْ في الأَرْضِ بِقَاعٌ عَبَدُوا اللهَ فِيهَا فَقَدَتْهُمْ؛ فلِهَذا اسْتَحَقُّوا ألاَّ يُنْظَرُوا ولا يُؤَخَّرُوا لكُفْرِهِمْ وإجْرَامِهِمْ، وعُتُوِّهِمْ وعِنَادِهِمْ) انتهى، اللهمَّ أنتَ الله المؤمنُ فآمنَّا ووالدينا وأهلينا يومَ الدِّينِ.